مقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينه، ونستهديهِ ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا. منْ يهدهِ اللهُ فهوَ المهتد، ومنْ يضللْ، فلنْ تَجدَ لهُ ولـيًّاً مُرشدا.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّـداً، عبدهُ ورسولُه، أرسلهُ بالهدى ودينِ الحقِّ، ليظهرهُ على الدِّينِ كلِّه ولو كرهَ لمشركون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

وبعد:

فإنَّ التـاريخَ مرآةُ الزمـان، وفيـهِ تراجمُ الأعيـان، وأخبـارُ الشُّـجعان . . ، وربَّما أفادَ حزْماً وعزْما، وموْعظةً وعلْما، وهِمَّةً تُذهبُ هَمَّا، وبياناً يزيلُ وهْما.

يقولُ الصَّـفديُّ: «والتاريخُ للزَّمانِ مرآة، وتراجمُ العالمِ، للمشاركةِ في المشاهدةِ مرقاة، وأخبارُ الماضين لِمنْ عاقرَ الهموم ملهاة:

لولا أحَاديث أبقَاهـا أوَائلنـَا منَ النَّدَى والرَّدَى لم يُعرَفِ السَّمرُ»[١].

والكتـابةُ في التاريخِ ليستْ بالأمرِ الهيِّن، والكلامُ في الرِّجالِ فيه أهوال، وقديماً شَكا ابنُ ناصـرِ الدِّين (٨٤٢هـ) منْ قـلَّةِ أهـلِ هذا الفنِّ في عصْـره، حيث يقـولُ: «وفي عصرِنا هذا الذي قلَّ فيه مَنْ يدري هذا الفنَّ أو يرويه، أو يُحقِّقُ تراجمَ مَنْ رأى مِنْ أهلِ مصره، فضلاً عمَّنْ لم يرهُ أو ماتَ قبلَ عصرِه، قدْ نطقَ فيه مَنْ لا خبرةَ لهُ بتراجمِ الرِّجال، ولا عبرةَ له فيما تقلَّدهُ منْ سوءِ المقال. . . »[٢].

قلت: لم تعتنِ أمَّةٌ منَ الأممِ بتاريخها، مثلمَا اعتنتْ هذهِ الأمَّةُ بتاريخها؛ إذ أنَّ العنايةَ بكتابةِ التاريخ، لازمٌ منْ لوازمِ دينها، وحسنةٌ منْ مَحاسنِ إسلامها، الذي شرَّفَ اللهُ بهِ هذهِ الأمَّة، فامتازتْ بهِ على سائرِ الأمم.

والتاريخُ رجالٌ وأحداث، ولقدْ أبدعَ أجدادُنا في دراسةِ الرِّجال، وسردِ الأحداث، وظهرَ عندنا أئمَّةٌ كبار أجلاَّء، كانتْ لهمُ الرِّيادةُ في هذا الفنِّ الجليل.

ومايهمُّنا هنا في موضوعِ الدِّراسة هو القسم الخاصُّ بالرِّجال، والذي لهُ صلةٌ وثيقةٌ بعلمِ الحديث.

اتسعتْ حركةُ التصنيفِ اتساعاً كبيراً في دراسةِ الرِّجالِ وفي فنِّ التراجم، فلم يدعْ أئمَّتنـا شاردةً ولا واردةً إلا قيَّدوها، وكتبُوا كلَّ ما يتعلَّقُ بالمترجَمِ منْ صغيرةٍ أو كبيرة، كلّ ذلك حرصاً منهمْ على روايةِ الحديثِ النبويِّ الصَّحيح،

(١) صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصّفديّ (٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحْمـد الأرناؤوط، تركي مصطفى (ط١، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، ١٤٢٠) ١/ ٢٦.

(٢) ابن ناصر الدين: الرد الوافر على من زعم: بأنّ من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام. . كافر، تحقيق: زهير الشاويش (ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١١)، ص٥٠.

وحفاظاً عليهِ منَ الغريب والشَّاذ والموضوع . . .

إنَّ اختياري للإمامِ ابنِ ناصرِ الدِّين موضوعاً للدِّراسة؛ كونه منَ العلماءِ البارزين، الذينَ عرفهم القرنُ التاسعُ الهجريّ، والذينَ تَميَّزوا بسعةِ الاطِّلاع والتمكّنِ، منْ علوم مختلفة، وفي مجالاتٍ شتَّى، وأبرزها: علومُ الحديثِ والأنسابِ والتراجم.

وأمَّا كتابه «التبيان» الذي هوَ شرح لأرجوزةِ «بديعة البيان»، والتي تُعدُّ نَمطاً مبتكراً منَ التأليفِ العلميِّ الحسابي، والتي إنْ دلَّتْ على شيء، فإنَّما تدلُّ على براعةِ علماءِ السَّلف، في الابتكارِ والإبداعِ والتفوّق.

لقد اعتمدت على المصادر التاريخية الرئيسة في عملي، وهي كثيرة ومتنوعة، واعتمدت على مصادر الحديث النبوي الشريف وعلى كتب التراجم وعلى المعاجم اللغوية، وقد ذكرت جميع هذه المصادر والمراجع في آخر الكتاب.

هذا وقد قسمت رسالتي على بابين:

١ ـ **الفصل الأول**: خصصته للدراسة، وقسَّمتُه على ثلاثة فصول:

* **المبحث الأول**: تحدثتُ فيه عن عصر المؤلف (الحياةُ السياسية، والاجتماعية، والثقافية).

* **المبحث الثاني**: فيه دراسة المؤلف (اسمه ونسبه، ولادته ونشأته، رحلاته، شيوخه، تلاميذه، خطّه، نَظْمه، محنتُه ومؤلَّفه «الرد الوافر»، وظائفه، صفاته وأخلاقه، آثاره العلمية، ثناء العلماء عليه، وفاته).

* **المبحث الثالث**: فيه دراسة الكتاب. وفيه:

ـ **أولاً**: كتب التراجم.

ـ **ثانياً**: منهج ابن ناصر الدين في كتابه التبيان.

ـ **ثالثاً**: موارد ابن ناصرالدين في كتابه التبيان.

ـ **رابعاً**: وصف النسخ الخطية.

ـ **خامساً**: منهجي في التحقيق.

٢ ـ والفصل الثاني: خصصته للنّصّ المحقق.

وفي الحقيقة فإنه عمل على تحقيق هذا الكتاب أربع طلاب في مرحلة الماجستير في بغداد، في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ـ جامعة الدول العربية ـ ونلنا جميعنا الماجستير بتقدير امتياز، بفضل الله وبرحمته.

حقـق الجزء الأول منه عبد الخالق عبد الله عثمان المزوري (ط١ ـ ط٦).

وحقـق الجزء الثـاني منه إسـماعيل عبد الرحمن نجم الدين الكوراني (ط٧ ـ ط١٠).

وحقق الجزء الثالث منه سعيد جرجيس عبد الله البوتاني (ط١١ ـ ط١٧).

وحققت أنا الجزء الأخير منه (ط١٨ ـ ط٢٥).

وواجهتنا عقبات كثيرة، في إنجاز تحقيق المخطوط على الوجه الأكمل، وأهمها عدم حصولنا على جميع نسخ «التبيان» المخطوطة، ثم ندرة المصادر التي نحتاجها.

وهذا جهدُ المُقلِّ فإنْ أصبتُ فمِنَ اللهِ وحدَه، وإنْ أخطأتُ فمنِّي ومِنَ الشيطان، واللهُ ورسولهُ مِنه بريئان.

بغـداد السبت ٣/ رمضان/ ١٤٢٥